المرأة والسلطة في الدائرة العائلية المنزلية وفي دائرة العمل

«طاولة مستديرة»

مارلين نصر

شارك في النقاش خمس نساء جامعيات وباحثات مصريات ولبنانيات هن: نادية رمسيس فرح (أستاذة جامعية مصرية وباحثة في علم الاقتصاد والقضايا النسائية)، سلوى جمعة (أستاذة جامعية مصرية وباحثة في العلوم السياسية في الجامعة الأميركية في القاهرة)، مديحة دوس (أستاذة لغة وباحثة مصرية في جامعة عين شمس)، رجاء نعمة (باحثة وأديبة لبنانية عاملة في التربية والتنمية الاجتماعية)، مارلين نصر (لبنانية باحثة جامعية في علم الاجتماع السياسي).

طُلب من المشاركات الإنطلاق من تجربتهن الخاصة أو من حالة محدّدة في التعامل مع السلطة أو ممارستها في دائرتي العمل والعائلة. ووصف هذه التجربة أو الحالة بالتركيز على نوعية العلاقات القائمة بينهن وبين الآخرين، واستخلاص أسلوب أو نمط معيّن في التعامل. فضلت الإنطلاق من تجربة بدلاً من معالجة الموضوع بشكل نظري أو عام ذلك أنه من الصعب على ما اعتقد الفصل بين التمني والتصور لما يجب أن تكون العلاقة، وما **هي عليه بالفعل** أي في الممارسة.

بعد أن وافق الجميع على الابتداء بدائرة العمل كونها أهم بنظر البعض، عدنا عفوياً عندما بدأ الحوار لنتكلم أولاً عن تجربتنا في الدائرة العائلية، فجاء ترتيب الحوار كالاتي:

١ ـ العلاقة بالسلطة الأهلية (الأب والأم) في البيت الأبوي.

٢ ـ التجربة بين البيت الزوجي: العلاقة المتبادلة بين الزوجين، تقسيم المسؤوليات اتخاذ القرارات الهامة.

٣ ـ العلاقة بالأولاد: محاولة إنشاء علاقات جديدة أفضل من العلاقات التي عشناها في الدائرة العائلية. وتراعي متطلبات الحرية وتكوين الشخصية الفردية والاجتماعية.

٤ ـ التجربة في دائرة العمل من حيث التعامل مع أصحاب القرار (رؤساء) وممارسة مسؤولية أو سلطة في التعامل مع الزملاء. كيف تتخذ القرارات، وكيف يتم تنظيم العمل والإشراف على إنجازه.

وقد جاء الحوار على شكل خمس سير ذاتية (جزئية) حول تجربة المشاركات في التعامل مع السلطة العائلية والوظيفية.

القاهرة ـ حزيران ١٩٩٤

ناديا فرح رمسيس (مصرية): اعتقد أن هناك خصائص مشتركة بين النساء المهنيات (Carrier Women) في العالم العربي. بالنسبة للعلاقة بالسلطة واتخاذ القرار في العمل وفي المنزل. إلى جانب كوننا على قمة الهرم الأكاديمي وعاملات في مجال البحوث هناك وضع خاص بالنسبة لي ولمديحة على ما أعتقد. إننا مسيحيات، عندما نتكلم عن المرأة في العالم العربي، نعني بشكل عام، المرأة العربية المسلمة. المرأة العربية المسيحية لها وضعية خاصة في الزواج المسيحي تختلف عن وضعية المرأة في الزواج المسلم.

رجاء نعمة (لبنانية): عندما قرأت الورقة (النقاط المقترحة للنقاش)، أعطتني ايحاء أن أتكلّم عن موضوع السلطة والمرأة من الجانب التربوي والنفسي. هناك العالم الذاتي والعالم الخارجي. الإنسان والمرأة بشكل خاص عندما يتعامل مع العالم الخارجي لا ينطلق من نقطة الصفر أو يتعامل بحرية، إلا أنه يتعامل من خلال إرث سلطوي خاص بكل واحد منا، ورثه من حياته في البيت. يمكن أن نلاحظ أن جيلنا أي جيل الستينات كان رافضاً للسلطة. أما الجيل الحالي، فهو مختلف عنا. أعطى مثلاً على ذلك، هناك سيدة في البلد عندنا (صور) رأيتها بعد أن أصيبت بانهيار عصبي فأخبرتني بما يلي: «أنا أول ست في البلد عندنا نزعتُ الحجاب وتجرأت وقلت أحب. (وكان هذا عاراً شديداً)، وتزوجت الذي أحبه وعشت سعيدة وحققت نجاحاً. أما بناتي الاثنتين فدخلتا في المدّ الأصولي. ولا أستطيع أن أقول إنهما تصرفتا عن ردة فعل لفشل ما أصابهما، ذلك أن الأولى نالت شهادة دكتوراه في التاريخ وهي تدرّس في الجامعة وناجحة جداً في الأعمال الاجتماعية والخيرية وتحب الناس والناس يبادلونها المحبة. أما الثانية، فهي لم تتابع علمها. وأنا أمهما اضطررت أن أعود وأرتدي الحجاب وأتراجع عما كانت هي عليه حياتي في السابق، فلمن أشكي همي أنا المرأة الطليعية».

العبرة من ذلك أن جيلنا رفض السلطة التي يمكن أن تكون سلطة الأب على الصعيد الرمزي السياسي، في الحين أن الجيل التابع له يعبّر عن رغبة في المصالحة مع سلطة الأب ومع القديم (كما في المدّ الأصولي). دراستي عن الطيب صالح كانت تدور حول هذا الموضوع. أي أن الجيل القديم الذي عارض السلطة الأبوية والخضوع والطاعة كان يعتبر أن التغيير قريب جداً وسيحققه في حياته الشخصية. ثم اكتشف فيما بعد أن التغيير الاجتماعي والسياسي والتربوي الذي طالب به، باء بالفشل. أما الجيل الجديد فهو يريد المصالحة مع القديم.

ناديا رمسيس: اسمحي لي رجاء، أنا لا أستطيع أن أقول إن الجيل الجديد قابل بالسلطة الأبوية مظاهر التديّن والحجاب. حتى لما تتعاملين مع جيلنا جيل الستينات، تجدي إن الطرف الذي كان حاملاً للتقليد في الأسرة لم يكن الأب، بل الأم. هكذا كان بالنسبة لي وهذه على ما أعتقد تجربة الكثيرات من اللواتي تكلمت معهن. والصورة التقليدية السلطوية كانت تمارسها أمي والذي نجح في دفعي والتحرر من هذه السلطة التقليدية كان أبي. وأعتقد أن تجربتي ليست استثنائية. إن الكثيرات من النساء اللواتي وصلن إلى درجة عالية من التعليم والإنجاز مثل الحصول على شهادة الدكتوراه وغيرها، كان ورائهن بصورة جوهرية الأب. والأم كانت حاملة التراث التقليدي وتتمنى أن تنشأ ابنتها مثلها. هي التي كانت تريد أن تزوجني وأنا في السادسة عشرة من عمري. أبي هو الذي وقف وعارض. إذاً لا أعتقد أن رفضنا (كجيل) كان رفض السلطة الأبوية ذلك أن الأب كان المساعد بالنسبة لي وبالنسبة للكثيرات من النساء من جيل الستينات. الذي حصل إن الجيل الجديد الذي نواجهه هو واقف موقف الرفض تجاهنا، وانقلب إلى القديم جداً. ويعود السبب إلى هزيمة جيلنا وإحباطه. أنا اتفق معك نظرياً اننا رفضنا السلطة الأبوية ولكن الذي كان حاملاً للثقافة التقليدية لم يكن أبي في تجربتي الخاصة بل أمي. قد تعود الأسباب إلى كون أبي كان رجلاً متعلماً وطبيباً، أما أمي فلم تكمل تعليمها الثانوي. ورأيت في حالات كثيرة أن النساء الناجحات كان ورائهن أب يؤمن بأن ابنته بالذات قادرة على التقدم وأنه سيربيها كالرجال لكي تقدر أن تقف على رجليها وتبقى إنسانة مستقلة.

سلوى جمعة: لما قرأت الورقة حول تعامل المرأة مع السلطة رجعت بذاكرتي إلى طفولتي. كنا ثلاث بنات وولد ولم أشعر أبداً أن أهلي كانوا يفرقون بين البنت والولد. ومثل ما قالت الدكتورة ناديا. كان أبي يدفعنا نحن الثلاثة لكي نحصل على شهادة التعليم الأعلى وأن نعمل نحن الثلاثة. وأتذكر ما كان يقوله: «إن الحاجة الوحيدة التي يمكن أن يتركها الأب لأولاده هي التعليم والشهادة لأن هذه الأشياء الوحيدة التي لا يمكن لأحد أن يأخذها منهم. لو ترك لهم مال ممكن يضيعونه ولكن التعليم والشهادة هذه خاصة بهم لا يمكن لأحد أن يأخذها منهم».

بالنسبة لي لا أستطيع أن أقول إن أمي كانت أقل مساواة من والدي. ولكن بحكم مشاعرها كأم كانت تخاف علينا أكثر. أنا تزوجت من زميل لي لم يكن مصرياً. أمي ترددت، أما أبي فلم يعارض ما دام الشخص مناسباً وأنا مقتنعة به. كذلك كانت أمي تريد أن أدخل اقتصاد فيما كانت رغبتي دخول العلوم السياسية. في نظرها كانت ترى أن السياسة للرجال وماذا سأستفيد منها. أما أبي فلم يعارض طالما أنا قررت ذلك. المهم أن الاثنين كانا يدفعاننا لإحراز التقدم والنجاح. ولكن الأب كان أكثر شجاعة واستعداداً للمخاطرة Risk taker والأم كانت تخاف علينا ولكن لم تشدنا أبداً إلى الوراء. أما الان أعتقد أني أتصرف مع ابنتي مثل ما كانت أمي تتصرف معي. هي تريد التخصّص في الدراما. فأقول لها يجب أولاً أن تأخذي شهادة البكالوريوس فأنا أريد أن تؤمن مستقبلها. ولو أرادت ممارسة «الدراما» كهواية في المدرسة أو في

الجامعة «فأهلاً وسهلاً». وإذا أراد لها ربنا أن تشتهر وتصبح نجمة فتكون شهادتها معها. أنا لا أستطيع أن أتصور أنها تترك التعليم وتدخل معهد تمثيل ولا تتلقى التعليم العالي مثل الآخرين.

مارلين نصر (لبنانية): العائلة هي الأساس بالنسبة لتجربة التعامل مع السلطة. بالنسبة لي كانت العلاقة مع أهلي تشوبها تناقضات شديدة. الإثنان أبي وأمي دفعانا إلى العلم والتقدم. خاصة أنهما رزقا بأربع فتيات ولم يرزقا بولد مما أثر على أبي أكثر مما أثر على أمي. وبعد أن أكملنا الدراسة الثانوية بدأنا نعمل وندرس (في الجامعة) في آن واحد. ولم يهتم أبي بتزويجنا أما أمي فتركت القرار لنا. وبما أنني كنت متفوقة في الدراسة كان ذلك مصدر فخر بالنسبة لأبي وتعويضاً له عن عدم توفّقه المهني. فكان دائماً يقول لي «إذا أردت استطعت إذا أردت أن تفتحي مكتب محاماة فأنا سأجد لك مصادر للمساعدة، أما الزواج فهذا أمر ثانوي وأنا مصرّ على تزويجكن».

أتذكر هذه الكلمات التي أثّرت بي أكثر من غيرها.

أريد أن أتكلم عن التناقضات في العلاقة بيني وبين والديّ بالنسبة لاتخاذ القرار والحرية والطاعة. بشكل عام وبالنسبة للأمور اليومية كان علينا أن ننفذ طلبات أمي وأبي بالنسبة للشؤون المنزلية ولم نمارس حق النقاش أو الاحتجاج إلا بالعلاقة مع أوامر أمي. أما بالنسبة لأبي فكانت تدخلاته في الأمور المنزلية قليلة وفي الحالات القليلة هذه كان علينا أن نطيع دون إمكانية النقاش أو الرفض.

والتناقض الأساسي في ممارسة السلطة الأبوية ظهر من جانب أبي في أنه كان في الوقت نفسه شديد التفهم ومؤيد لحرية اختيارنا ودافعنا إلى النشاط المهني والاستقلال والتخصص، فكان رافضاً للتقاليد التي تريد أن تزوّج الفتاة بعد إتمام الدراسة وعدم الخروج للعمل أو التخصص. ومن ناحية أخرى، كان يميل إلى المحافظة في أمور العلاقات بالزملاء (الذكور) في الجامعة. وعدم التأخّر للعودة إلى المنزل مساءً إلا في الحالات التي كان يفرضها علينا الدوام في الجامعة. لم تطرح العلاقة بالزملاء الذكور إلا في الجامعة ذلك أننا تلقينا الدراسة الإبتدائية والثانوية في مدرسة خاصة للراهبات لا ذكور فيها (لا معلمين ولا تلاميذ). وبدأ صراعنا معه (وأنا خاصة) أنه طالما أعطانا الثقة والحرية في مجال التعليم والعمل فعليه أيضاً أن يثق بنا في مجال اختيار الأصدقاء شرط أن يتعرّف عليهم ويعلم بالمشاريع المشتركة. فعلى هذه النقطة بالذات كان الصدام بين سعيي إلى نيل ثقة كاملة غير مبتورة للإنطلاق في الدرس والعمل والمهنة والعلاقات الاجتماعية، وتردده إزاء الدائرة الأخيرة والأصعب ألا وهي دائرة العُرض أو الخوف على سمعة الفتاة وحمايتها.

أما التردد أصاب والدتي في موقع اخر. هو تحبيذها لنيل الشهادات والتخصص والعمل ولكن اعتبار العمل المهني مؤقت وظرفي وأقل أهمية من إقامة عائلة وفتح بيت وتربية الأولاد

والقيام بالعلاقات الاجتماعية المرتبطة بها والتي كانت تعطيها الأولوية في تمنياتها ونصائحها لنا. فكان بالنسبة لها العمل المهني شيء إضافي والمهمة العائلية للفتاة هي الأساس والقيمة الحقيقية. وهي لم تعرف في جيلها إلاّ امرأة واحدة ابنة عمها التي انطلقت للعمل بعد أن انفصلت عن زوجها (المقامر) وكأن كل القضية في ذهنها أنها كانت قليلة الحظ. وإن الطلاق أو الإنفصال عار ومصيبة كبيرة. وفي معرفتها ارتباط الأمران: انحلال الحياة العائلية الزوجية والانطلاق للحياة المهنية.

مديحة دوس (مصرية): والدي كان أكثر تفتحاً من عائلة والدتي، وحتى اجتماعياً كان ينتمي إلى عائلة أصحاب مهن حرة (Professionals)، أما أمي فهي من بيئة تقليدية أكثر. لم تعترض أمي لاستمراري في الجامعة إلا أن أبي كان يؤيد ذلك بشدة. ومع ذلك لما جئت لأتزوج، وافق على ذلك بالرغم من كون هذا الزواج كان سيتم بشكل غير تقليدي، لأن زوجي كان رافضاً للزواج في الكنيسة وكان يريد أن نقيم زواجاً مدنياً. فلم يمانع أبي.

سؤال: هل لو مانع كنت ستمتنعين عن الزواج أو تستمري به بالرغم من اعتراضه؟

مديحة: لو هما رفضا كنت تأثرت برفضهما. ولكن لم أكن أعتبر أن نوعية الزواج، كنسي أو غير كنسي، يشكل نقطة أساسية، وإن حريتي في القرار لن تتأثر بهذا المعيار.

ولكن أين الغلط ان الواحد يحترم مشاعر أهله. لو كان والدي رفض أن يتبنى فكرة الزواج مثل ما اقترحها زوجي (زواج مدني) وضغط على أهل زوجي هنا في مصر، كنت بالتالي سأقوم بمناورات لأحقق ما أريد.

رجاء نعمة: يبدو لي أن وجهات النظر متقاربة حول أن هناك جيل معين رفض القديم. ولكن عندما تكلمت عن السلطة الأبوية لم أكن أقصد الأب كشخص، بل اللغة السائدة في علم النفس. يمكن أن تكون الأم هي حاملة القيم الأبوية لأنها أقل جرأة من الأب الذي بحكم أنه صاحب السلطة قادر على أن يكون جريئاً. عندما أردت أن أطلّق زوجي مثلاً كانت أختي قد تركت زوجها قبلي. فقلت لأبي: «كيف سأترك زوجي ونصبح مطلقتين في البيت؟» فأجابني: «هذه ليست مشكلتك. هذه مشكلتي اكملي أنت طريقك وعيشي حياتك». هذا مع العلم أن أبي كان من النوع المتسلط وكنا نخاف منه. اذكر أيضاً جدتي عندما أصابها الخرف ولم تعد تعرف أحداً، كانت تسأل «كم ولد عندي» فنجيبها «ثلاث فتيات وصبيين»، فتقول محتجةً «صبيان فقط»!. وهي من عائلة إقطاعية مزارعة وحُرمت من الإرث لأنها انثى وكانت دائماً تشتم الفلاحين وتقول لي «إنهم همج لا يورثون البنات» وهذا يظهر التناقض في موقفها. هي من جهة رافضة للسلطة الأبوية التي تحرم البنات، ومن ناحية أخرى تمتثل لها فتفضل البنين على البنات. فهذا التناقض كان مصدر قلق لجيلنا أما الجيل الذي أتى بعدنا فهو لا يريد أن يعيش هذا القلق.

ناديا رمسيس: أريد أن أوضح نقطة. عندما تكلمت عن أمي وقلت إنها حاملة للميراث التقليدي، هذا لا يعني أنها لم تكن تريدني أن أتعلم، بالعكس. وهي تحسدني اليوم على كوني تعلمت لأنها في داخلها كانت تتمنى الشيء نفسه لأنها كانت تريد أن تبقى حرّة الإرادة. هذا لا يعني أن حياتها مع والدي كانت فاشلة ولكن اعتقد أنني طرحت عليها نموذج كانت تتمناه لنفسها. من ناحية أخرى، أنا أقول إن وراء كل امرأة ناجحة (Carrier woman) أب مساند. لو كانت الأم تساند والأب يعارض لما كان ذلك ممكناً لأن سلطة القرار الأخيرة للأب. أما بالنسبة للأمر الثاني الذي ذكرته مارلين عن الازدواجية في تصرف الأب: الدفع إلى العلم والنجاح والعمل من ناحية ومنع الخروج والمعاشرة من ناحية أخرى، فتجربتي مختلفة في هذا المجال: عندما دخلت إلى الجامعة بعد ان تخرجت من مدرسة الراهبات قال لي أبي: «إني أثق بك ثقة شديدة» هذا كل ما قاله لي وبقيت كل سنوات الجامعة الأربع ماشية كالسيف لا ألتفت إلى ولد. أما لو كان استخدم أسلوب المنع لربما كنت تصرفت بشكل آخر. فكان أبي يصل إلى ما يريده بأسلوب نفسي أكثر منه سلطوي أو تهديدي. أما بالنسبة للجيل الجديد (لي تجربة مع أولاد أختي) فهو ينظر بحذر شديد إلى تجاربنا ويرفض أن يخوض المعارك التي خضناها وأن يمر في المعاناة والهزائم التي مررنا بها. ولكن هذا يقودنا إلى الدائرة المنزلية والعلاقة مع الزوج والأولاد وهي النقطة الثانية.

مارلين نصر: إذا انتقلنا إلى الدائرة المنزلية والعلاقات الزوجية وتربية الأولاد. ماذا حصل عندما أصبحنا في موقع الزوجة والأم؟ كيف تقوم العلاقة بين الأطراف الثلاثة، هل نعيد تجربتنا في البيت الأبوي أو نحاول الابتعاد عما اعتبرناه سلبياً في هذه التجربة، واتباع أسلوب جديد نعتبره أكثر تقدماً في العلاقة الزوجية وتربية الأولاد؟

أريد أن أتكلم عن التعارض في شخصيتي بين عدة أنماط من السلوك فيما يتعلق بممارسة المسؤولية أو السلطة أم التعامل معها. المشكلة الأولى هي في العلاقة مع المساعدة المنزلية وهي خارجة عن الانتماء إلى العائلة. وغالباً ما نشأت في عائلة تقليدية حيث العقلية الأبوية سائدة في شكلها البدائي. فهل سأسلك أسلوب العلاقة التقليدية بين السيد والخادم أم أني سأحاول تربيتها على العلاقة الجديدة السائدة بين الموظف والمسؤول عنه المرتكزة على الاحترام المتبادل والقيام بالعمل المطلوب مقابل أجر. فالأسلوب التقليدي السائد في مجتمعاتنا لمعاملة الخادم هو أسلوب أبوي قمعي يتراوح بين الأوامر والتهديد والتشجيع باعتبار أن الخادم جزء من العائلة ولكن في السلم الأدنى. ولكي أتجنب هذا الأسلوب اعتمدت أسلوب التوظيف أي تجديد العمل والمهمات والتشجيع عليها ثم الاطلاع على النتائج وإبداء بعض الملاحظات التقييمية سلباً وايجاباً. ولصعوبة التوفيق بين العلاقة الأبوية المنتظرة والعلاقة الجديدة فضلت عدم التواجد في المنزل أثناء قيام المساعدة المنزلية بعملها لئلا انجرّ إلى أسلوب المتابعة والملاحظات الدائمة إلخ. فهذا نوع من الهروب من العلاقة ولكن هذا كان أفضل الحلول بالنسبة لي. فهي حرة في

طريقتها في القيام بعملها وأنا لست المشرفة الدائمة عليها، بل الغائبة الحاضرة والمتابعة من بعيد.

أما فيما يتعلق بالعلاقات الزوجية حاولنا أن نرسي قواعد للمشاركة في المسؤوليات بعد احتكاكات طويلة كانت تعود إلى كونه (زوجي) نشأ في بيئة تقليدية أي ان شؤون المنزل تدخل كاملة في إطار مسؤوليات الوالدة التي تستعين بالخدم، أما المسؤوليات المادية والمهنية والمصيرية فهي من صلاحيات الأب. وبالرغم من رفضه للعقلية التقليدية وتفضيله للعقلية والنمط الجديدين إلا أن قلة العادة والمعرفة في سن الطفولة والصبا جعلاه في الواقع أقل «مهارة» في معرفة الأمور المنزلية وتربية الأولاد، وإن كان نظرياً مستعداً للمشاركة. فتوصلنا إلى نوع من تقسيم للمسؤوليات. ولكن وجدت نفسي في معظم الحالات أنا أقوم بدور الذاكرة و«المذكرة» و«المصلحة» أو «المدربة» وهذا ما لا يتحمله الفريق الآخر. إن المشاركة أسهل عندما يمكن الاقتناع بها من قبل الزوج عندما يكون الإثنان يعملان ويتحملان النفقات العائلية أما عندما تكون المرأة لا تعمل وإن لفترات استثنائية فهو يميل إلى التراجع عن المشاركة وذلك بسبب العودة إلى النمط التقليدي في تقسيم العمل: المنزلي للزوجة والخارجي (المهني) للزوج.

سلوى جمعة: أنا أشعر في نفسي دور مزدوج. لما تزوجت كان أملي أن أرى نموذج أبي وأمي يتكرر في حياتي الزوجية. عمري لم أرهما يتشاجران، كانت دائماً مناقشاتهما هادئة وعقلانية. وكنت أظن أن الناس والدنيا كلها على هذا النموذج. بعد أن تزوجت وجدت الناس مختلفون عن بعضهم البعض وقد يتشاجرون. فشعرت أنني لست مثل كل الناس. كنا أنا وزوجي زملاء في الجامعة ولكن من أرضيات عائلية مختلفة. إذ نشأ في أسرة تقليدية، الأب فيها هو مصدر الأوامر ويلجأ للوسائل التقليدية في تربية الأولاد. فكانت نقطة الاختلاف حول كيف نربي الأولاد. هل نفتح لهم باب حرية المناقشة أو نوجه لهم أوامر ومهمات يجب أن ينفذوها. وكان بيننا نوع من المنافسة في مجال آخر: أنا كنت بحاجة أن أثبت أن الزواج لم يعيقني عن متابعة تخصصي ونيل درجات علمية عالية. وهو عايز يثبت أنه قادر على التوصل إلى المستوى نفسه. عندما سافرنا إلى أمريكا لمتابعة تخصصنا كانت مسؤولية البيت بحكم الأمر موزعة بيننا نحن الإثنان. وكانت طفلتنا صغيرة وأيضاً قسمنا المسؤوليات لرعايتها في ما بيننا. كان الاختبار الرئيسي عندما عدنا إلى مصر ثانية: هل سيستمر هو في المساعدة أم لا؟ أنا من رأي مارلين ان في الرجل العربي ازدواجية: أمام الناس يقول كلاماً جميلاً جداً فيتكلم عن المساواة بين الرجل والمرأة وخاصة إذا كان المجتمع الموجود فيه يعمل وفقاً لهذه القاعدة مثل المجتمع الأمريكي. ولكن عندما يرجع إلى مجتمعه الأصلي حيث من العيب أن يقوم الرجل بمشاركة المرأة في الدور المنزلي، فيميل ثانية إلى تقسيم العمل السابق. إن عودتنا إلى بيت أهلي حيث كانت الخدمات المنزلية متوفرة، جعلته يضغط علي لكي أقوم بالدور التقليدي (أطبخ وأكنس وأنظف) الذي كانت تقوم به والدته. ولكن عندما انتقلنا إلى بيتنا الخاص انتهت المشاكل. أنا من جهتي لم أعد آخذ المسألة بعنف بمعنى أنه يجب عليك أن تطبخ مثلما أنا أطبخ

وعليك أن تنظف مثل ما أنا أنظف طالما نحن الإثنان نعمل ونجلب المال إلى المنزل. عدلت عن استراتيجية المواجهة وأدركت أنه بأمكاني التوصل إلى النتائج نفسها بأسلوب أكثر إقناعاً وأقل صدامية.

عندما شعر أنني أعمل مثله في الخارج وأرجع إلى المنزل متعبة مثله فلم يرض لنفسه أن يراني أقوم بكل العمل المنزلي بمفردي وهو لا يعمل شيئاً فأخذ يساعدني داخل المنزل، مثلاً يهتم بالأولاد عندما كان لدي مؤتمر، وأنا بدوري أهتم بهم عندما يكون لديه مؤتمر أو سفر.

إذاً تعود الأمور إلى عملية التنشئة، فالزوج يكون واضعاً في نفسه شكلاً محدداً للعلاقات الزوجية مستمدة من النموذج الأهلي الذي عرفه في نشأته. أما الزوجة فهي إما تريد إعادة نموذج العلاقة التي عرفتها في نشأتها خاصة إذا كانت هذه العلاقة ناجحة ومرضية أو العكس تريد اتباع نموذج اخر مختلف إذا كان النموذج الأهلي فاشلاً غير مرضياً لها. فيدخل الإثنان في صدام إذ يريد كل واحد إثبات نفسه وتطبيق النموذج التي يعتبره الأفضل. ولكن إذا نظرنا إلى العملية على أنها تعاون وليس صدام. يمكن أن يتغير شكل الخلافات من خلافات قطيعة إلى خلافات في الرأي وإمكانية التوصل إلى حلول واتفاقات جديدة.

رجاء نعمة: لقد طرحتم الموضوع صحّ ولكن بكثير من العقلانية كأن العقبة هي من يقوم بالعمل المنزلي وكيف يقسم بين الإثنين... أنا أرى من تجارب ناس من جيلي وحتى الناس الأصغر مني الذين استوعبوا الحرية أكثر أن النزاع ليس عقلانياً إلى هذه الدرجة. إن الإرث القديم كان مصدر قلق وألم كبير للسيدات خاصة عندما رأين أنفسهن فجأة في موقع مساوي للرجل. أنا لا أعتقد أننا استوعبنا دورنا الجديد بسهولة. كان لدي صديقة تعمل وتوقف زوجها عن العمل لمدة. فأصابها قلق شديد. فالإرث القديم ان الرجل هو الذي يجب أن يعمل، هو الذي يجب أن يصرف على البيت لا يزال موجود فينا بدرجات متفاوتة. نحن طبعاً كافحنا حتى نصل إلى موقع متقدم عن السابق ولكن ما زال في داخلنا مواقع متأخرة تشدنا إلى الوراء. وأعود إلى المثل الذي أعطيته لأوضح أننا وضعنا هذا الرجل على المشرحة نتساءل هل هو كسول لا يحب العمل، وأخذنا نشكك به مع العلم أنها تحبه وأنا أقدره ونحن أصدقاء. وعندما وجد أخيراً بعد ستة أشهر عملاً انحلت المشكلة بسرعة وبشكل مفاجيء. وضحكنا على أنفسنا لأننا بعد كل الكفاح للتوصل إلى فكرة المساواة بين الرجل والمرأة عدنا إلى الموقع التقليدي بعد أول أزمة أصابت دور الرجل وزعزعت مكانته. لو كانت فعلاً المجتمعات تغيرت بحيث أصبحت حديثة أي مختلفة جداً عن المجتمعات السابقة لما كنا تأزّمنا إلى هذا الحدّ.

ناديا رمسيس: لدي تعليق حول أن الرجال لم يربوا على أن يشاركوا في الأعمال المنزلية. ربما كان وضعي غريباً ذلك أن أمي كانت ترفض أن نعمل أي شيء في البيت حتى أنها كانت تمنعنا أنا وأختي أن ندخل إلى المطبخ. فكانت تقول أنت عندك دراستك، ذاكري. ولكن عندما

سافرت لإكمال الدكتوراه، بدأت اهتم بنفسي وأطبخ بالرغم من انعدام خبرتي في الموضوع. والان أصبحت طباخة ماهرة. أقول ذلك رداً على أن الرجال لم يتعودوا على ذلك في صغرهم. فالذي يريد أن يعمل سيعمل سأتكلم عن تجربتي الزوجية. ان زواجي الأول من النوع التقليدي. أي تزوجت برغبتي وبدون ضغط من أهلي من شاب من عائلة مرموقة ومن ديني. وانتهى زواجنا إلى الطلاق بعد أن رفض الاستجابة إلى الشرط الوحيد الذي وضعه أبي وهو أن أكمل دراستي بعد الزواج. بعد أن كان تعهد بذلك قبل عقد الزواج. وكان من الصعب علي كثيراً أن أحصل على الطلاق وتعذبت كثيراً ذلك أن من شبه المستحيل إتمام الطلاق عند الأقباط.

تزوجت مرة ثانية من إنسان يناسبني تماماً في المجال الفكري بالرغم من اختلاف البيئة الاجتماعية والانتماء الديني.. مرارة التجربة الأولى، قررت ان يكون زواجي من النوع المدني وفي الخارج، في أمريكا. واتخذت القرار الصعب جداً بعدم الانجاب لأنني لم أكن مستعدة للتضحية بحياتي المهنية تحت أي ظرف من الظروف، لأنني من النوع الذي لو انجبت كنت سأترك كل شيء لأهتم بطفلي ولن أستطيع التوفيق بين تربيته وبين متابعة شؤون عملي.

وعندما عدنا إلى مصر عشنا في بيتين منفصلين هذا أمر غريب جداً ولكن أعتقد أن هذا الذي سمح لزواجنا أن يدوم عشر سنوات. هو الذي لم يعد يتحمل هذا الوضع وأراد لنفسه حياة زوجية طبيعية وأن ينجب أولاداً.

فانصرفت بعد الطلاق كلياً إلى عملي، وأصبحت مختلفة فشعرت إني انطلقت أكثر. ليس لأن الزواج كان يجبرني على الإهتمام بشؤون المنزل ولكن شعرت اني حرة تماماً.

مديحة دوس: أنت عبرت عن امتنانك لخروجك عن الصيغة التقليدية للزوج والزوجة. أما أنا فكان وضعي بالعكس تماماً. تزوجت من رجل لم يكن يريد أن يكون زواجنا تقليدياً بمعنى أنه كان رافضاً أن ننجب أولاداً. في البداية كنا متفقين على ذلك أو ربما أبديت موافقة خارجية إلا أن موقفي تغير مع مرور السنين رغبت أن يكون لدي أولاداً في الوقت نفسه الذي أتابع فيه عملي وتقدمي المهني. عندما كنا خارج مصر كان وضعنا يسير بشكل طبيعي ولكن عندما عدنا إلى مصر زادت رغبتي في ان انجب أولاداً وشعرت أني أعمل في مجال لم اختره ولا أرغب به. كنت أعمل في الجامعة الأميركية فأخذت سنة إجازة لإتمام أطروحة الدكتوراه إلا أنني أصبت بشيء من الشلل ولم أكمل رسالة الدكتوراه. وشعرت أنني لا أستطيع أن أحقق نفسي. فمع الحوار والشدّ أحياناً وصلنا إلى الحل الذي كنت أريده أي أن ننجب أولاداً. ولكن تفجرت بعد ذلك المشاكل بيننا وتردّت علاقتنا. لم تكن المشكلة مشكلة المساواة، فالمساواة كانت موجودة في علاقتنا، ولكن كانت نظرتنا لأهداف الحياة الزوجية مختلفة.

رجاء نعمة: العلاقة الزوجية في بلادنا تجعلنا نضع علامات استفهام كبيرة على القوانين والشرع السائد في هذا المجال. هناك رجل قال لزوجته التي كانت متمردة عليه وفي ثورة دائماً

«إن الله معي والدين معي والشرع معي والمجتمع معي، يعني أقدر أن أحطمك واكسرك». وفعلاً استطاع أن يفعل ذلك. هذا يردنا إلى السلطة الرئيسية التي هي سلطة القانون. فما لم يتغير القانون وما لم تتغير الشرائع وما لم تتغير السلطة الأساسية فالحديث سيبقى يدور حول استثناءات، والمعاناة من السلطة ستبقى كبيرة داخل الأسرة.

مارلين نصر: أنا لا أعتقد أن القوانين والشريعة وإن كانت تعيق عملية التغيّر إلاّ أن التحول في العلاقات الأسرية يحصل رغم جمود القوانين. فإذا نظرنا إلى الجيل الجديد وخاصة الجيل الشاب من الفئات الشعبية في المدن العربية الكبرى نجد أن الفتيات والنساء من هذه الفئات يخرجن للعمل أكثر فأكثر. ونرى نساء وشابات من العاملات هن السند المادي للعائلة في نفس أهمية الأخ أو الزوج، وغلاء المعيشة وتحديد النسل النسبي في المدن يجعل الأدوار التقليدية في تقسيم العمل بين المرأة والرجل تتغير بشكل متعارض مع التقاليد، مما يؤدي إلى تناقض مع القوانين، والتقاليد الموضوعة والتشريعات الموروثة، ويؤدي إلى التحايل عليها والضغط في اتجاه تعطيلها أو تغيرها.

ناديا رمسيس: أنا اتفق مع رجاء في موضوع القوانين السائدة. أنا هربت من الزواج ثانية في مصر بسبب القوانين وبسبب تجربتي عندما تزوجت المرة الأولى. لم يكن لدي أية فكرة عن القانون. وطالما العلاقة جيدة بين المرأة وزوجها فلا يظهر القانون، أما عندما تسوء العلاقة، ينزل القانون مثل السيف على رأس المرأة لا على رأس الرجل. في يده كل الحقوق والسلطة والقوة. ولا شيء في يدها. أنا تعذبت أربع سنوات لأحصل على طلاق، هو كان يمكن أن يطلقني في لمحة بصر. ويمكن أن يمنعني من السفر ويقول بالطاعة مع العلم أني أعمل مثلة وقادرة على الاستقلال المادي. أرى اليوم آنسات في الـ ٢٩ والـ ٣٠ لا يتزوجن لأنهن يرفضن أن تكون العصمة في يده فهن يخشين الدخول في الزواج في إطار القانون الموجود حالياً خاصة بعد اعلان الحقوق القانونية.

مارلين نصر: لنتكلم عن العلاقة بالأولاد. سأطرح سؤالاً: هل نحاول في علاقتنا مع أولادنا أن نتبع بوعي سلوكاً مختلفاً عن السلوك الذي اتبعه أهلنا معنا. كيف تتخذ القرارات الخاصة بهم في الأمور الهامة؟.

سأتكلم عن نقطتين: الأولى تتعلق بنوعية العلاقة بالأولاد، أنا شخصياً أحاول إلاّ أكون مبالغة في الحماية والإحاطة Overprotective و/أو مبالغة في ممارسة السلطة (بمعنى الـ Autorité). لأني أعتقد أن الحالتين ـ كثرة «الحب» والإحاطة وكثرة التدخل والمنع ـ تؤديان إلى جعلهم أكثر تبعية (dépendance) لي وأقل استقلالية في سلوكهم وقراراتهم. وكوني أعتقد أن المجتمع الذي سيعيشون فيه سيكون أقل رحمة وأقل «عائلية» من المجتمع الذي نشأت فيه وأكثر تطلباً من الفرد أن يكون سيد نفسه، اعتقد أن هذا السلوك هو الأفضل، ولكن لا أعرف في

الحقيقة إذا كنت أتصرف معهم في الواقع مثل ما اتمناه. وهنا أحاول بعض الأحيان أن أطلب رأيهم في تقييمي، فيقولون لي: «إني برأيهم أمارس أكثر قليلاً مما يسمونه السلوك المتدخل والمنانع أي السلطة».

أما فيما يتعلق بالنقطة الثانية فأجد صعوبة أن أسلك سلوكاً متدرجاً بين قطبي العاطفة والتسامح والتفهم من ناحية، وقطب المنع والعنف الكلامي والقطيعة التي تحصل في الحالات القصوى (الأذى، السلوك السلبي). وفي مجتمعنا أيضاً (لبنان)، نلاحظ أيضاً وجود هذين النمطين فقط التسامح و«التآخي» أو المشاجرة والقطيعة والعنف. إني أجد صعوبة في ابتكار أساليب جديدة للتعامل مع أولادي. أحسن مثلاً التكرار: تكرار النصيحة أو المنع ولا أحسن الأنواع الأكثر تعقيداً كالتفاوض، ووضع اتفاقات فيما بينهما أو فيما بيننا ـ فبين التوبيخ و«العياط» والتشجيع والمكافأة، هناك العديد من الأساليب. أشعر أنه بالإمكان أن أتبعها معهم وأعتقد أنها أفضل لأنها تخلق نوعاً من العلاقة الأكثر تطوراً وتدرجاً، إلا أنني لا أعرفها لأنني لم اتعرف عليها لا في تنشئتي في المدرسة ولا في البيت الأهلي. ذلك أن في الأولى كان الأسلوبان الوحيدان هما القصاص على أنواعه أو المُكافأة والجائزة بأنواعها الخطابية والرمزية. وفي البيت الأهلى كذلك كانت العلاقة تتراوح بين قطبي المنع والتوبيخ وأحياناً التعنيف. والمديح والتشجيع والمكافأة، وكنا دائماً في موقع المتلقي وليس في موقع الشريك أو المفاوض أو المحاور.

فإني ألاحظ في تجربتي الخاصة أن أساليب الحوار والتفاوض والنقاش التي أحاول أن أرسيها في علاقتي بأولادي ليست من الوسائل «الطبيعية» التي اكتسبتها خلال تنشئتي الخاصة وإنما أساليب جديدة أحاول أن أتبعها لاقتناعي بتقدمها على الأساليب الأخرى التقليدية، ولكن لا أحسن دائماً سلوكها وأرى نفسي أحياناً كثيرة أقع في الأساليب القديمة، ولا أجد مخرجاً لذلك سوى الاعتذار منهم.

رجاء نعمة: سأتكلم عن ظاهرة بالنسبة لعلاقة جيلنا بأولادهم. لقد أتعبنا أولادنا لأننا كنا رافضين ونعلن عن هذا الرفض يومياً. رفض القوانين والمجتمعات والرئاسة والسياسة. وأرى كيف أن أولاد هؤلاء الناس عاشوا هذه الأفكار، وواجهوا مشكلة عندما أرادوا أن يجدوا مكاناً لأنفسهم في المجتمع الذي يرفضه أهلهم. وجزء من هؤلاء الأولاد لم يتمكن من أن يتكيف مع المدرسة والعلاقات التقليدية بين المدرسين والتلاميذ. وفي حين كان أهلهم متفوقين في علمهم واستطاعوا أن يصلوا إلى قمة الهرم في المجال الذي يعملون فيه. كان أولادهم بالعكس غير ناجحين في المدرسة ولا يجدون مكاناً لأنفسهم في هذا المجتمع. خاصة وأنهم يريدون أن يتماثلوا مع أهاليهم قبل أن يخوضوا تجربتهم الخاصة.

مديحة دوس: الأهل في هذه الحالة فرضوا على أولادهم وجهة نظرهم وسلطتهم لم يتركوا

لهم إمكانية الاختيار. بالنسبة لي، يمكن لأن أب أولادي (لدي ابنتان) لا يعيش معنا، لم تتخذ تربيتهم طابع سلطوي. هناك دائماً حوار ليس فقط حول المبدأ والأيديولوجيا ولكن كنت دائماً اخذ رأيهم قبل اتخاذ قرار. أما الان وقد كبرنا، أصبحت التي تتمرد بينهما مثلاً ترفض رأيي. فإذا قلت لها مثلاً لا «تذاكري» (بمعنى لا تحفظي دروسك غيباً). هي تجيبني رافضة أتركها تفعل كما تشاء و«المذاكرة» شائعة كما تعلمون في معظم البيوت المصرية. وابنتي البكر لا تؤيد أرائي السياسية والاجتماعية، فهي مثلاً لا توافق بعض انتقاداتي للرئيس السادات.

سلوى جمعة: أنا أشعر أني غير راضية عن نفسي في العلاقة مع أولادي. في الجامعة مثلاً أريد أن يتصرف الطلبة بحرية ومسؤولية وأن ينتقدوا أرائي ويتخذوا مواقف مختلفة عن مواقفي. أما في البيت وبالرغم أنني لست سلطوية وأصغي لاراء أولادي إلا أنني أشعر باختلاف الأجيال (Generation Gap) بيننا. لدي ابنتان في سن الخامسة عشرة والتاسعة. أشعر أنهما تفكران بطريقة مختلفة عنّي، أشعر أن تأثيري عليهما أضعف بكثير من تأثير أصحابهما والمدرسة والنادي. هما تطرحان أفكاراً جديدة وأنا كأنني ألعب دور السيدة التي لا تستطيع أن تتأقلم مع هذه الأفكار، لأنها بنظري أفكار مادية بحتة لا يوجد فيها أي نوع من القيم والمثل التي تربينا عليها. وأصبحت الحياة كلها استهلاكية ومادية. مثلاً أحاول أن أعطيهم من تجربتي وأقنعهم بضرورة التمرس على كل أنواع العمل وكيف يجب أن يوضبوا غرفتهم وينظفوها. وأخبرهم كيف تربيت في بيت كان فيه سفرجي وطبّاخ وجناينى. ثم جاء يوم أصبحنا نقص حشيش الحديقة بأنفسنا. فتجيبانني: «طيب، لننعم الان بما نحن فيه وسنرى غداً». مثل آخر، عملية العلم والتخصص والدكتوراه. هما تخجلان أن تقدماننى إلى رفاقهما على أني «الدحاحة»، يعني مثل التي تدرس دائماً وتأتي بعلامات «الدحاحة»، أي المتفوقة. وهذا بنظرهن شيء مخجل. لو أتت بنتي بعلامة جيدة جداً فهي تخبئها خشية أن يقولوا لها «أنت تذاكرين في البيت». فهما لا تحاولان أن تبذلا مجهوداً كبيراً. الأولى تريد أن تكون ممثلة، وهي تشارك في نادي المسرح (Drame Club) في المدرسة، أما الثانية فهي تريد أن تصبح طبيبة بيطرية لأنها تحب الحيوانات. والكبرى هي المثل الأعلى للصغرى. وبالرغم من أنني أشعر أنني أم قريبة منهن وهن يمزحن معي، ولكن أشعر أن هناك اختلاف في العقلية بيننا ولا أستطيع أن اقنعهن بوجهة نظري في أمور كثيرة.

ناديا رمسيس: لديّ تجربة ظريفة مع ابنة أخي وهي تعيش في أمريكا. كنت في صغري Overprotected فعندما تعرضت للعالم الخارجي وجدت أن الناس مختلفون كثيراً عما كنت أتوقع أما الآن لم أعد أحزن أو أفاجأ بما يقوله أو يفعله البعض.

أما بالنسبة لإبنة أخي فقد علمتها حب المطالعة والقراءة، تصوري فتاة في أمريكا تقاطع التلفزيون والفيديو لتقرأ كتاباً. العامل النفسي مهم جداً في التعامل مع الأطفال. في الفترات

التي أبقى معها، أنا لا أقول لها «لا تفعلي ذلك» أو أمنعها عن شيء، وإنما عندما تتصرف بشكل سيء أو غير مرغوب به لا أوبخها بل ابتعد عنها أو «أقاطعها». هذا الأسلوب يؤثر عليها أكثر بكثير من الأساليب الأخرى المباشرة أو الكلامية.

رجاء نعمة: اعتقد أن تصرفنا مع أولادنا يعود إلى الثقافة التي تلقيناها. كوننا غير قادرين أو غير متمرّسين على الحوار، فهذا نلاحظه على المستوى السياسي في بلادنا كما ذكرت.

هذه الظاهرة منتشرة عندنا لأن مجتمعنا جديد نسبياً يكون الواحد فيه إما مخطىء أو عظيم معه حق.. كذلك في المدارس، معظم الناس أهلهم غير حاملين شهادات، ومعظمهم غير معتادين على التفاوض. النسبي (relatif) غير منتشر في ثقافتنا، المطلق (l'absolu) هو السائد. كذلك في الدين، حق وباطل، نحن غير معتادين على الحوار، في مصر معتادين.

سلوى جمعة: هناك مشكلة ثانية أننا لا نعرف أن نلتزم بالموقف الذي أخذناه (consistent). فإذا قال مثلاً الواحد منا لولد «أنت اليوم معاقب، لن تذهب إلى النادي». ثم يعود ويغير رأيه بعد أن يتعرض لإلحاح الوالد ورجائه «الله يخليك خلّيني روح»، يتراجع عن موقفه، فهذا يجعل الخط بين الصواب والعقاب خط غير واضح المعالم. مفروض أن يبقى واضح مهما كان الأمر.

العلاقة بالسلطة في دائرة العمل:

مارلين نصر: ما رأيكم أن نتكلم عن تجربتنا في العلاقة مع السلطة أو الرؤساء في دائرة العمل وممارستنا لهذه السلطة أو القيام «بمسؤولياتنا» أي علاقتنا بالذين يعملون تحت إشرافنا؟

ناديا رمسيس: دائرة العمل بالنسبة لي هي من أهم زوايا حياتي. أنا لم أستطع أبداً أن أتعايش مع السلطة الهرمية في مؤسسات العمل منذ أن عينت معيدة. أني أكره التعامل السلطوي، أكره أن يأمرني أحد منذ صغري لدي هذه المقاومة العنيفة للأوامر والسلطوية ربما لأن أمي كانت سلطوية.. تركت الجامعة. وحصلت معي نفس الحكاية في أمريكا، لم يعجبهم أسلوبي، أنا مباشرة أكثر من اللزوم لا أعرف التلوي ولا أحب الطرق العوجاء، أفضل الطرق المباشرة. إذا كان لدي مشكلة مع أحد، أسلك طريق الصراحة والوضوح والمواجهة. سأتكلم عن مشكلة أخرى لن يتجرأ الكثيرون أن يتكلموا فيها هي التحرش الجنسي أثناء العمل. بعض الرجال فكروا أنه بإمكانهم أن يبتزوني عن طريق الجنس لكي أصل. أنا عمري ما رضخت لهذا النوع من الابتزاز. الكثير من السيدات للأسف الشديد وفي مستوى عالي من الوظيفة، يفتكرن أن هذا هو الطريق الوحيد للتقدم المهني والوصول إلى أعلى المراكز. إذا كنت معيدة يحاول رئيسك أن يساعدك في كتابة أبحاث ويرسلك إلى مؤتمرات. هذه من الأشياء التي لم تسمح

لي تربيتي وكرامتي أن أرضخ لها. ولكن حتى ولو تظاهرت بعدم الفهم «تعاقبي» فتتأخري في تدرجك ولا ترسلي إلى بعثات خاصة. في الهرم الوظيفي تكون أحياناً المنافسة بين النساء أشرس وأقوى لأن الفرص أقل. هذا ما أسميه «عقدة الدرّة»: أي أن نتنافس كنساء لجلب اهتمام الرئيس الذي عادة يكون رجلاً. أنا لم أشارك في هذا الصراع. لم أبق مدة طويلة في أية مؤسسة وحتى إذا أنا أحببت المؤسسة، فهم لا يحبونني ربما لأنهم لا يستطيعوا أن يمسكوني في أي شيء، ولا يجدون المداخل التي تجعلهم يتسلطون عليّ. لا يهمني أن أخسر المال، وليس لأني غنية، فأنا لست غنية وأعيش من عملي. حصل معي أني خسرت عقداً بالاف الدولارات ولثلاث سنوات. كتبت استقالتي ومشيت. وبالفعل الكثيرات من النساء اللواتي يعملن في نفس المهنة وجدتهن خارج سلك الوظيفة ـ معظم النساء المهنيات (Carrier Women) نلاقيهم في الجامعة والعمل البحثي أو كمستشارات (Consultant). نحن نساء مستقلات لا نقبل بسهولة تلقي الأوامر، خصوصاً من قبل الرجال. يجدون امرأة أمامهم فهم يرغبون ممارسة هيمنتهم عليها. إن كانت فكرية أو إدارية أو جنسية. أعتقد أننا نعاني من ذلك في العالم العربي، إن مهنة البحث تعطينا حيز من الحرية والقوة والشجاعة ذلك أننا نستطيع أن نقوم بعملنا خارج إطار الهرم الوظيفي السلطوي، وإن كنا في كثير من الأحيان نعاني أكثر.

مارلين نصر: عندما أفكر في مساري المهني أجد أن في كل الأعمال التي مارستها (أنا أعمل منذ سن الثامنة عشر) كانت تتميز بكوني كنت اشتغل في إطار شبه مستقل وإن كان ذلك داخل مؤسسة، وفي معظم الأحيان كنت أعمل بمفردي مسؤولة عن قطاع (في مكتبة)، أو مادة تعليمية في المدرسة، مع علاقة ضعيفة، يعني ظرفية وجانبية بالسلطة أو بالمسؤولين، ثم كباحثة عملت في فرع مستقل لم يكن لي علاقة بمدير المؤسسة. كذلك في الجامعة كنت شبه مستقلة إذ بدأت أدرس في سنة أولى دكتوراه أي طلاب اكملوا رسالة الماجستير ويستعدون لرسالة الدكتوراه (DEA). والعلاقة بالإدارة ضعيفة جداً، وربما ذلك يعود إلى رداءة الحالة الإدارية للجامعة اللبنانية في فترة الحرب ولقلة العلاقات بين الأقسام وبين الأساتذة والإدارة. المرة الوحيدة التي عملت فيها كباحثة بعلاقة مباشرة مع مدير انتهت «الوظيفة» بصدام على معنى الدوام بالنسبة للعمل البحثي إذ رفضت أن أسجل دقائق التأخر في الصباح وطلبت أن أتمتع بشيء من الحرية في تحديد أوقات الدوام، ذلك أن لا إمكانية للقيام بعمل بحثي إلا في إطار من الحرية والشعور بالحرية والاستقلالية. والان بسبب ظروفي العائلية التي أجبرتني أن أنتقل إلى أمريكا ثم إلى مصر، وبالرغم أنه كان بإمكاني أن «أتوظف» أو أن أدخل في مؤسسة، إلا أنني فضلت أن أجد لنفسي وضع مستقل ملتحق شكلياً بمؤسسة جامعية ولكن مع كامل الحرية للقيام بمشاريعي الخاصة.

المشكلة التي نعاني منها في هذا الوضع أو ربما أنا أعاني منها. أنني أصبحت مثل الحرفي

الذي يعمل وحده. المشكلة الرئيسية التي يمكن أن يواجهها الحرفي هي العزلة وربما الميل إلى عدم اعتبار الوقت أو الزمن كوقت وزمن اجتماعي (Temps Social).

المشكلة بالنسبة للمرأة في هذه الحالة هي أن تعود إلى العزلة، وهذه المرة ستكون العزلة من نوع آخر ليست عزلة المنزل ولكن عزلة المهنة. فهل للحفاظ على استقلالنا وحريتنا سننتقل من عزلة إلى عزلة، أعتقد أن الحل هو أن نخلق أطر مهنية نلتقي فيها مع زملاء في المجال نفسه للتنسيق والتبادل وربما القيام بأعمال مشتركة، خاصة أن الأطر البحثية الحديثة غير موجودة أو قليلة جداً أو شكلية في مجتمعاتنا. ولكن لكي تدوم هذه الأطر الجديدة يجب أن تكون خالية من العلاقات السلطوية الهرمية أو الأبوية أو الأمومية أو غيرها (النفسية مثلاً)، وأن نبني العلاقات الجديدة على أساس توزيع المهمات والمرونة والمساواة في القيام بالأدوار المختلفة والتشاور والابتعاد عن الأشكال الإدارية الموروثة التي تحمل معها شئنا أو أبينا بذور إعادة إنتاج العلاقات السلطوية القديمة التي ستقوّض حتماً الأطر الجديدة التي نحاول ابتكارها.

ناديا رمسيس: أنا التحقت بمؤسسات كثيرة واشتغلت لغاية سنة ١٩٩٠ في جامعات ولغاية ١٩٩٣ كنت في مؤسسة وطوال الفترة هذه كنت دائماً أقوم بعمل بحثي. آخر استقالة لي كانت في عام ١٩٩٣ حتى لو لم استقل كنت أشعر أنهم لن يتحملون طويلاً نمطي (المستقل) في العمل وسيعملون كل ما في وسعهم لكي «يطلعوني» من العمل. في مصر هناك شيء اسمه «الشللية» كل واحد أو واحدة مفروض أن يكون منتمياً إلى شلة، وكل شلة تسند بعضها بعضاً. فلان نظم مؤتمر، سيأتي إليه بشلته، ممكن أن تكون ناديا هي متخصصة في موضوع المؤتمر، لكن لن تدعى إليه لأنها ليست في هذه الشلة. لا يدعونني إلا إذا كانوا بحاجة لمعالجة موضوع لم يجدوا أحداً غيري قادر على القيام به. أنا لست منتمية لأي شلة وأرفض أسلوب الشللية لأنه لا يعتمد على الكفاءة، بل يعتمد على المحسوبية. لم أستقيل من جامعة القاهرة، هم الذين أقالوني، في الجامعة الأميركية أيضاً لم أستقيل، قالوا لي «لا نقدر أن نكمل العقد». الحكاية أن نحن لا نعزل نفسنا ولكن عندما لا نمشي على القواعد التي حددوها سواء شللية أو سلطوية نجد أنفسنا مبعدين خارج المؤسسة، أو نضطر إلى الاستقالة.

سلوى جمعة: أنا أتفق في أمور كثيرة مع ناديا. إن الإنسان الذي يقول رأيه ويضع مصلحة القسم (Department) الذي يعمل فيه فوق المصالح والعلاقات الشخصية والشللية هذا الإنسان يجد نفسه غير مرغوب فيه. إن المنافسة الشريفة غير موجودة اطلاقاً في دائرة العمل. حصل معي قضية أثناء عملي في الجامعة ان طالبة لم تقدر أن تسلّم البحث المطلوب منها في الوقت المناسب بالرغم من تمديد المدة المتاحة لها. وبما أنه لم يكن من صلاحياتي أن أمدد لها مرة ثانية، طلبت من لجنة القسم أن تتخذ القرار. فوافقت اللجنة على التمديد مرة ثانية. وبعد أن سلمت بحثها نالت الدرجة الأدنى (F). فأخذ أفراد القسم يضغطوا عليّ لكي أعيد قراءة بحثها.

فوافقت شرط أن يتخذ القسم مسؤولية وضع الدرجة الجديدة أي بعد أن يقرأها كل أفراد القسم. انهم يعرفون إن هذا الأسلوب مخالف لقوانين الجامعة. فبدأوا يعتبرون أنني واحدة غير متعاونة ومتشددة ومتسلطة. مشكلتي أني أعطي رأيي في سياسات إدارة شؤون الأمور المتعلقة في القسم، ولو طلب رأيي حول هذا الأمر أو ذاك فأعطيه بصراحة. فيعتقد البعض أنني من شلة فلان وضد شلة علتان. في حين أنني لا أنتمي لأية شلة ولست مع هذا ولا مع ذاك. ولكن مشكلتي أنني أتخذ موقفاً محدداً، ولا أحسن أن أقول دائماً نعم لصاحب السلطة أو الموقع الأقوى.

عندما دخلت القسم كنت أبدو صغيرة السن، عندما كانوا يعرفون بي للضيوف أو الزائرين يقولون «إنها شابة متحمسة ومليئة بالحيوية». كنت أفضل أن يعرفوا بمؤهلاتي وكفاءتي. لا أعتقد أنه لو كان مكاني أستاذ ذكر لكانوا عرفوا عنه بهذه الأوصاف البعيدة عن العقل.

ناديا رمسيس: في الشلة للأسف علاقات سلطوية حيث تلعب المرأة الدور الدوني. إن العلاقات فيها غير متكافئة يرأسها عادة رجل، ثم الصبيان التابعين له وأخيراً المرأة التي من المفترض أن تسمع كلامه، وتكلف بأعمال «السكرتيرة»، بالرغم من أن زميلها الرجل في ذات مرتبتها. قد يقبل الرجل المنافسة من رجل اخر داخل المؤسسة، لكن لا يقبله من امرأة أخرى، إذ من غير المفترض أن تكون بمستوى ذكائه أو أكثر ذكاء أو معرفة منه. والنصيحة التي وجهت لي من قبل ناس قريبين هي: «لا تظهري ذكاءك»، وأيضاً المفترض أن يكون للسيدة تطلعات واسعة في المجال النظري (Théorique)، المفروض أن تعمل في المجال التطبيقي. النظريات للرجال الكبار والتطبيق علينا. أما أن يكون لي الجرأة أن أرفض نظريات بعض الرجال الذين يعتبرون من العباقرة فهذا أمر غير مقبول.

مديحة دوس: لدي صورة مختلفة تماماً يبقى فيها شيء من النقد الذاتي. أنا لا أحب السلطة، ويتهيىء لي إذا نظرت إلى مساري المهني (Carrier)، أرى فيها عكس ما قالت ناديا بالضبط. أشعر بشيء من الكسوف والمرارة. حاولت أن أنجح فيها ولكن لم انجح تماماً بل نصف نجاح نصف فشل. هذا خارج عن اطار المناقشة ولكن يلقي ضوءاً على نوعية أخرى من العلاقات الخاصة بالسلطة. أنا أستاذة في الجامعة. لو قست نفسي بالزملاء والزميلات الذين من نفس سني أو إمكانياتي لوجدت أنني متأخرة من حيث التدرج ١١ أو ١٢ سنة.

أنا لا أعرف ماذا كان هدفي ولكن أعمالي هي التي تتكلم عني. استمريت في وظيفة هامشية في الجامعة ليس لكوني قبطية أو لكوني أم أربي أولادي لوحدي، هذه عوامل ولكن ليست الأسباب. أخذت مساراً هامشياً منذ البداية حيث كان بوسعي أن أتخذ المسار نفسه الذي أخذه الاخرون أي أن أكون معيدة. ولكن اخترت وظيفة شبه فنية مدِّرسة لغة وهذه الوظيفة لا تحتاج «لماجستير» ولا «لدكتوراه». لكن استمريت في البحث والنشر على مزاجي.

يمكن لست داخلة في أي صراع أو منافسة. وضعي في الجامعة جانبي وهامشي، زملائي ينشرون لكن من داخل النظام (System). بعد فترة طويلة بدأت أشعر أن حقوقي مهضومة. أنا ناشرة أكثر منهم، ولكن لا أريد أن أدخل في مواجهة مع أحد. أنا أشعر في حياتي أني أخاف أن اتخذ مسؤولية وظيفة. ولم أدخل في القالب إلا متأخرة. انجزت «الدكتوراه» منذ ثلاث سنوات فقط. لما دخلت القسم أصبحت في صراع شبه دائم مع السلطة، سلطة القسم. وهم ليسوا رجالاً بل سيدات. أشعر أن السلطة في الجامعة قاهرة لدرجة أني لا أستطيع أن أنظر في عينها مثل الشمس. ولكن هي سلطة قاهرة وغشيمة ليست سلطة قاهرة وذكية، تشعرين أنك تتعاملين مع الـ Mèdiocrité (التفاهة) ومع سلطة عشوائية (Arbitraire).

لما دعيت للندوة فكرت أن آتي مع زميلة لي معيدة حصل معها مشكلة كبيرة منعوها بعد ذلك من التدريس لمدة سنة. هي معيدة أعطوها مدرج لتدرّس فيه ولضيق المكان في الجامعة، عينوا لنفس الفصل أستاذاً رجلاً، حصل أنهما وجدا مرة في المدرج نفسه، هي كانت تدرّس منذ أسبوعين وهو باشر التدريس في الأسبوع الثالث. فرفضت أن تترك له المدرج لأنها لم تبلغ بذلك إلا قبل نصف ساعة من موعد محاضرتها. وألغت محاضرتها، فخرج الأستاذ. وصلت المسألة إلى العميد، فأخذت المعيدة مجلس تأديبي وبالرغم من أن الأستاذ كان قد شتمها أمام الطلاب إلا أنه عندما جرى التحقيق، حققوا معها ولم يحققوا معه؟ ولم تدافع عنها رئيسة القسم إطلاقاً بل ادانتها. واضطرت أن تقدم اعتذارها. ومنعت عن العمل لمدة سنة.

ملاحظات ختامية

* يتبين من الحوار إن الأب في الحالات الخمس هو الدافع إلى التحرر والإستقلال والتقدم المهني. وإذا كانت الأم لم تلعب دور المعيق وإن لعبت في بعض الحالات دور الدافع إلا أنها بدت أكثر محافظة ودافعة ابنتها إلى القيام بدورها التقليدي إلى جانب تقدمها العلمي والعملي.

* في بعض الحالات هناك ازدواجية أو تناقض في دور الأب فهو من ناحية يدفع إلى الإستقلال والتقدم في دائرة العلم والعمل. ومن ناحية أخرى يحاول أن يحتفظ بسلطة المنع في كل ما يتعلق بدائرة العلاقات الشخصية أو دائرة العُرض.

إذا هناك حرية يمنحها الأب لابنته ولكن هذه الحرية تبدو مشروطة وجزئية إذ يمارس الأب باستمرار دور المانح ـ المانع.

* يظهر في الحالات الخمس ان العلاقة بالزوج تتميز بالصراع المستمر الذي حسم في بعض الحالات بالطلاق. وفي الحالات الأخرى تطور إلى نوع من المساومة أو الاتفاق المشوب بالتوتر.

* ويبدو أن بؤر التوتر تكمن في تقسيم العمل والمسؤوليات المنزلية في حال قيام الزوجين

بعمل مهني. وفي كيفية تربية الأولاد اتباع نمط تقليدي أبوي (Autoritaire) أو نمط حواري حديث.

* يتبين من السير الخمس أن التجربة العائلية الأبوية هي المؤثر الرئيسي في تحديد نوعية العلاقات الزوجية والمهنية، ويتبين أن البعض يعيد ذكر بعض عبر وتأثيرات هذه التجربة في سياق حديثهن عن تجربتهن المهنية وعلاقاتهن بالسلطة وبالاخرين.